الباب الأول

من هم أهل البيت؟

obeikandl.com

أهل البيت فى آية التطهير

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [1].

فمن هم أهل البيت أولئك المطهرون أصحاب هذه الآية؟

أهم نساء الرسول ﷺ؟

أم هم أقاربه؟

أم هم على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام؟ [2].

يذهب بعض العلماء والمفسرين إلى أن المراد بأهل البيت فى هذه الآية نساء النبى ﷺ ودليلهم فى ذلك ورود هذه الآية فى سياق الآيات التى تخاطب زوجات النبى ﷺ حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ

---

١ ـ (الأحزاب ٣٣)

٢ ـ راجع البخارى ج٢ـ٦٢، ٥٤، ج٤ـ١٠٢، ج٥ـ٢٥ حيث يذكر عليا بقوله عليه السلام ـ وفى ج١ـ١٣٨، ج٥ـ٣٦ حيث يذكر فاطمة بقوله عليها السلام وفى ج٥ـ٢٣ حيث يذكر الحسين بقوله عليه السلام وهكذا نجد البخارى وغيره من كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ يذكرون أهل البيت فى مواضع عديدة بقولهم عليهم السلام مما يبين أن ذلك ليس بدعة ولا مستحدثا ولا منافيا للشرع كيف ذلك وقد أمرنا بالصلاة عليهم فالله تعالى يقول "إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " ولما سأل الصحابة الرسول ﷺ عن كيفية الصلاة عليه أجابهم بقوله "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ـ رواه مسلم والبخارى وأبو داؤد والترمذى والنسائى وابن جرير وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ـ فالرسول ﷺ قرن الصلاة عليه بالصلاة على الآل وأنت أخى المسلم ماذا تقول فى صلاتك أفلا تقول " اللهم صل على محمد وآل محمد؟ وقد نهى الرسول ﷺ عن الصلاة البتراء والتى يصلى فيها المرء على الرسول وحده ثم يمسك ولا يصلى على الآل فقد روى ابن حجر فى صواعقه المحرقة أن الرسول ﷺ قال "لا تصلوا علىّ الصلاة البتراء فقالوا وما الصلاة البتراء؟ قال تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد "الصواعق المحرقة ص ٢٢٥".

وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن
يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ
فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[1].

إذا تأملنا فى هذه الآيات المباركة نجد فعلا أن آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ تقع فى سياق الآيات التى تخاطب نساء النبى ﷺ وللوهلة الأولى يظن قارىء هذه الآيات أنها جميعا ـ بما فيها آية التطهير ـ تخاطب نساء النبى ﷺ حيث انها جزء من هذه الآيات وهذا ما دفع الكثيرين إلى القول بأن أهل البيت فى آية التطهير هم نساء النبى ﷺ. ومعظم الذين يقولون بهذا الرأى يعتمدون على ما ذكره ابن كثير فى تفسيره حيث يقول بعد أن أورد هذه الآيات: وهذا نص فى دخول أزواج النبى فى أهل البيت هنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول. داخل فيه قولا واحدا إما وحده على قول أو غيره على الصحيح [2] ويقول أيضا: والذى لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبى ﷺ داخلات فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال الله تعالى بعد هذا كله: واذكرن ما يتلى فى

١ـ الأحزاب ٢٨ـ٣٤.

٢ـ (تفسير ابن كثير ج٣ـ٤٨٣)

بيوتكن من آيات الله والحكمة.

وهكذا اعتمد ابن كثير فى رأيه هذا على أن آية التطهير قد جاءت فى سياق الآيات التى تخاطب نساء النبى ﷺ بالإضافة إلى ذكره آثارا عن عكرمة أنه كان ينادى بهذه الآية ويقول أنزلت فى نساء النبى خاصة وأورد أنه قال من شاء باهلته أنها نزلت فى نساء النبى خاصة وساق عكرمة ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهكذا يعتبر ابن كثير أن لهذه الآيات جميعا بما فيها آية التطهير سبب نزول واحد يخص نساء النبى ﷺ.

نعم عزيزى القارىء إن آية التطهير تقع فعلا وسط الآيات التى تخاطب نساء النبى ﷺ فهل يعنى ذلك أن آية التطهير نزلت مع بقية الآيات ولنفس سبب النزول؟ ام أنها نزلت مستقلة ولسبب نزول مختلف؟ ودعنا نتساءل عزيزى القارىء هل ترتيب الآيات فى المصحف الشريف هو نفس ترتيب النزول؟

من المعلوم أن ترتيب الآيات والسور فى المصحف الشريف يختلف عن ترتيب النزول فالمصحف يفتتح بسورة الفاتحة ثم سورة البقرة ويختتم بسورة الناس وليس هذا ترتيب النزول فسورة الفاتحة ليست أول السور نزولا كما أن سورة الناس ليست آخر ما نزل.

وأيضا فإن ترتيب الآيات فى السورة الواحدة ليس على حسب ترتيب النزول فربما تجد فى سورة مكية آيات مدنية وتجد فى سورة مدنية آيات مكية بل ربما تجد آيات فى سياق واحد يفصّل بينها زمن طويل ولكل سبب نزول خاص فنقرأ مثلا فى سورة البقرة ـ والتى تعد من أوائل ما نزل من القرآن فى المدينة المنورة ـ نقرأ فيها قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1]. فهل نزلت هذه الآية فى نفس وقت نزول الآيات السابقة عنها واللاحقة لها أم نزلت متأخرة عن بقية الآيات بفترة زمنية طويلة

١ـ (البقرة ٢٨١)

على الرغم من وحدة السياق؟ فهذه الآية يعتبرها البعض آخر ما نزل من القرآن حيث يقول سعيد بن جبير آخر ما نزل من القرآن كله " واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون "عاش النبى ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال كما ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره [1] وذكر ايضا عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال آخر شيء نزل من القرأن واتقوا.....الآية أى أن هذه الآية لم تنزل مع الآيات السابقة لها فى السياق واللاحقة عليها وإنما نزلت بعد تلك الآيات بفترة زمنية طويلة ما بين نزول سورة البقرة فى أوائل الهجرة وحتى أواخرحياة الرسول ﷺ ومعنى ذلك أن ورود آية فى سياق آيات اخرى لا يعنى بالضرورة نزولها مع نفس الآيات ولنفس سبب النزول.

أيضا فهناك شيء آخر فقد تجد فى القرآن آية واحدة_ وليس مجموعة آيات _ هذه الآية تتحدث فى صدرها وذيلها عن موضوع واحد تام المعنى بينما وسطها يتحدث عن موضوع آخرمختلف عن موضوع صدر الآية وذيلها مما يبين نزول تلك الآية مجزأة ولكل جزء سبب نزول خاص. أى أن وسط الآية يعتبر بمثابة جملة إعتراضية وهذا أسلوب من أساليب اللغة العربية والتى نزل بها القرآن ومثال ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

فتأمل عزيزى القارىء فى هذه الآية الواحدة حيث أن صدرها_ أى قوله تعالى حرمت عليكم..... إلى قوله ذلكم فسق _ يتحدث عن

١_ (تفسير ابن كثير ج١_٣٣٣)

٢_ (المائدة ٣)

المحرمات من الطعام وكذلك ذيلها ـ فمن اضطر.... إلى قوله تعالى غفور رحيم يتحدث عن نفس الموضوع بينما وسط الآية" اليوم يئس ـ إلى قوله الإسلام دينا ـ يتحدث عن موضوع آخر وإذا تاملت عزيزى القارىء فى صدر الآية وذيلها وجدته كلاما غير متوقف فى تمام معناه وإفادة المراد منه على شىء من قوله تعالى" اليوم يئس الذين كفروا... وألفيته آية كاملة مماثلة لما تقدم عليها فى النزول من الآيات الواقعة فى سورة الأنعام والنحل والبقرة المبينة لمحرمات الطعام ففى سورة البقرة " إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن أضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم"[1].

يتضح من ذلك أن قوله تعالى " اليوم يئس الذين كفروا" كلام معترض فى وسط هذه الآية فهل نزل هذا الجزء من الآية فى مناسبة معينة غير المناسبة التى نزلت فيها بقية أجزاء الآية والتى تتحدث عن محرمات الطعام؟

يذكر ابن كثير فى تفسيره[2] قول السدى أنزلت هذه الآية يوم عرفة ـ يرى أهل السنة أن هذه الآية نزلت يوم عرفة بينما يقول أهل البيت أنها نزلت فى الثامن عشر من ذى الحجة يوم غدير خم ـ ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام. وقال ابن جرير مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوما. وذكر البخارى أن اليهود قالت لعمر رضي الله عنه إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر رضي الله عنه إنى لأعلم حين أنزلت أين أنزلت أين كان رسول الله ﷺ حيث أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة [3].

فهذه آية واحدة يتكلم أولها وأخرها عن موضوع واحد بينما وسطها يتكلم عن موضوع آخر وله سبب نزول مختلف عن بقية أجزاء الآية وهذا اسلوب معروف فى اللغة العربية لا ينكره من عرف عادة العرب الفصحاء

١ـ (البقرة١٧٣)

٢ـ (تفسير ابن كثير ج٢ـ١٢)

٣ـ (البخارى ج٦ ـ ٦٣ ـ للوقوف على حقيقة زمن نزول هذه الآية انظر هذا الكتاب ص ٦٥و٦٦و٦٧ .

فـى كلامهـم فإنهم يذهبون من خطـاب الى غيره ويعـودون اليه والقرآن مـن ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشـعارهم وهذا نفس ما نلاحظه فـى آيات سـورة الاحزاب من قوله تعالى " يا أيها النبـى ..... إلى قوله " لطيفا خبيرا "[1] فهذه الآيات لم تنزل دفعة واحدة كما أنها تتناول أكثر مـن موضـوع ولها أسـباب نزول متعددة تمامـا مثلما رأينا فـى الآية الثالثة مـن سـورة المائدة فأول الآيـات وآخرها يتحدث عن موضوع يتعلق بنسـاء الرسـول ﷺ بينما آية التطهير فى وسـط الآيات تتحدث عن موضوع آخر يتعلق بأهل البيت وله سبب نزول مختلف.

ودعنا نتسـاءل عزيزى القارىء مرة أخرى هل هذه الآيات جميعا بما فيها آية التطهير نزلت معا ولنفس سـبب النزول أم أن آية التطهير نزلت مسـتقلة ولسـبب نـزول مختلف ؟ وبمعنـى آخر هل الآيـات الأولى والتى تسمى بآيات التخيير نزلت مع آية التطهير ولنفس السبب أم أن لها سبب نزول خاص؟ إن آيات التخيير " يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسـرحكن سـراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما "[2] فهذه الآيات نزلت حينما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يخير نسـاءه بيـن أن يفارقهن فيذهبـن إلى غيره مما يحصـل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبرعلى ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى فى ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضى الله عنهن الله ورسـوله والدار الآخرة كما ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره [3].

إنـك تلاحظ عزيـزى القارىء أن هذه الآيات نزلـت فى جو من التوتر والاختـلاف والحزن والأسـى حيث أن أزواج النبى ﷺ سـألنّه شـيئا من عـرض الدنيـا وطلبنّ منه زيادة النفقة وآلى رسـول الله ﷺ منهن شـهرا وإعتزلهـن حتـى ظن الصحابة أنه قد طلقهن. فى مثل هذا الجو نزلت آية

١ـ (الأحزاب ٢٨ـ٣٤)

٢ـ (الاحزاب ٢٨ـ٢٩)

٣ـ (تفسير ابن كثير ج٣ ـ٤٨٨)

التخيير فقد روى الواحدى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال كان رسول الله ﷺ جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بينى وبينك رجلا قالت نعم فأرسل الى عمر فلما أن دخل عليهما قال لها تكلمى فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبى ﷺ كف يا عمر فقال عمر يا عدوة الله النبى لا يقول إلا حقا والذى بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدى حتى تموتى فقام النبى ﷺ الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغذى ويتعشى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات . وروى البخارى ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت نزلت آية التخيير فبدأ بى أول إمرأة من نسائه فقال ﷺ إنى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك ـ وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه ـ قالت ثم قال " إن الله تبارك وتعالى قال " يا أيها النبى قل لأزواجك الآيتين قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقلت أفى هذا أستامر أبوى فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم خيرٌ نساءه كلهن فقلنَّ مثل ما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [1] وروى الإمام أحمد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أقبل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستأذن رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه فلم يؤذن له ثم أقبل عمر ﷺ فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابى بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فدخلا والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأكلمن رسول الله ﷺ لعله يضحك فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتنى النفقة آنفا فوجأت عنقها فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال " هنَّ حولى يسألننى النفقة فقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عائشة ليضربها وقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبى ﷺ ما ليس عنده فنهاهم الرسول ﷺ فقلنَّ والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال " إنى أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى

---

١ ـ (فتح البارى ج٨ ـ ٦٣٨ ومسلم ج٣ ٦٧٧)

أبويك " قالت وما هو؟ قال فتلا عليها " يا أيها النبى قل لأزواجك " قالت عائشة رضي الله عنها أفيك أستامر أبوى بل أختار الله ورسوله وأسالك أن لا تذكر لإمرأة من نسائك ما اخترت فقال ﷺ " إن الله تعالى لم يبعثنى معنفا ولكن بعثنى معلما ميسرا لا تسألنى إمرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها "[1] وهكذا عزيزى القارىء يتبين لك من هذه الأحاديث سبب نزول آية التخيير حينما طلبت زوجات الرسول ﷺ زيادة النفقة وأدى ذلك إلى إختلاف وتوتر جعل الرسول ﷺ يعتزل أزواجه شهرا وكان يحتجب من أصحابه فلا يأذن لهم بالدخول. فى وسط هذا الجو المفعم بالأسى والحزن نزلت آية التخيير التى تخاطب نساء النبى ﷺ. هذا الجو يختلف تماما عن الجو الذى نزلت فيه آية التطهير ذلك الجو المفعم بالرحمة والمحبة والمودة والسكينة والعطف والحنان وهذا ما سيتضح عندما نعرف سبب نزولها فقد أخرج الترمذى[2] والحاكم وصححه[3] وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى سننه من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: فى بيتى نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفى البيت فاطمة وعلىّ والحسن والحسين فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال " اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ". وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج النبى ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علىٌ فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4]. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ كان ببيتها على منامة له عليه كساء خيبرى فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله ﷺ أدع زوجك وابنيك حسن وحسين فدعتهم فبينما هم يأكلون

١ـ (مسلم ج٣ ـ ٦٧٧)
٢ـ (الترمذى ج٥ ـ ٣٠، ج٥ـ ٣٢٨)
٣ـ (الحاكم فى المستدرك ج٣ـ ١٣٣)
٤ـ (مسلم ج٥ ـ ٢٨٧)

إذ نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فأخذ النبى ﷺ بفضلة إزاره فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها الى السماء ثم قال " اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " قالها ثلاث مرات قالت أم سلمة فأدخلت رأسى فى الستر فقلت يا رسول الله وأنا معهم فقال "إنك على خير مرتين ". وفى رواية لأحمد[1] قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدى وقال إنك عل خير " . وفى رواية الحاكم قالت أم سلمة رضي الله عنها يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال " إنك على خير وهؤلاء أهل بيتى اللهم أهل بيتى أحق "[2] من هذه الأحاديث يتضح لك عزيزى القارىء أن آية التطهير نزلت مستقلة ولم تنزل مع الآيات التى تخاطب نساء النبى ﷺ وأن لهذه الآية سبب نزول خاص يختلف عن سبب نزول بقية الآيات وأن هذه الآية إنما نزلت فى بيت السيدة أم سلمة رضي الله عنها وأنها نزلت فى خمسة فى رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأن رسول الله لم يدخل معهم السيدة أم سلمة رضي الله عنها بالرغم من كونها إحدى زوجاته ليفرق عمليا بين أهل بيته وزوجاته فتأمل أيها القارىء الكريم الحرص الشديد للسيدة أم سلمة رضي الله عنها ورغبتها الملحة فى أن تنال ذلك الفضل العظيم وأن تكون من أهل البيت المطهرين فحاولت الدخول معهم فى الكساء بل ورفعته لتدخل معهم ولكن الرسول ﷺ لم يسمح لها بالدخول بالرغم من خيريتها ومنزلتها العالية لماذا؟ لأن هؤلاء فقط هم أهل بيته ولا أحد غيرهم وبالتالى فلا يجوز لأى أحد أن يدخل معهم غيرهم فيفعل ما لم يفعله الرسول ﷺ والذى لا يفعل إلا ما يوحيه إليه ربه

وأيضا إذا تأملنا فى الآيات السابقة لآية التطهيروالتى تخاطب نساء النبى ﷺ نجد أن الخطاب فيها بنون النسوة كنتن، تردن ..... وكذلك أيضا فى الآيات اللاحقة واذكرن، بيوتكن أما فى آية

١ـ (مسند احمد ج١ـ ٣٣٠)

٢ـ (الحاكم فى المستدرك ج٣ـ ١٣٣، ج٢ ٤١٦)

التطهير فيختلف الخطاب ويصبح للتذكير ولم يقل الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس أهل البيت ويطهركن تطهيرا فلماذا اختلف الخطاب من التأنيث إلى التذكير؟ ولماذا لم يستمر التأنيث الموجود فى الآيات التى تخاطب نساء النبى ﷺ؟ أفلا يدل ذلك على أن المخاطب فى تلك الآيات غير المخاطب فى آية التطهير؟ .

وكذلك فإذا أمعنا النظر فى الآيات التى تخاطب النساء نجدها قد حددت لهن برنامجا إلهيا وتعاليم محددة للوصول إلى الطهر والكمال يشمل إرادة الله ورسوله، العمل الصالح، التقوى، عدم الخضوع بالقول، قول المعروف، القرار فى بيوتهن، عدم التبرج، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، طاعة الله ورسوله، ذكر ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة. وأسندت الإرادة فى هذه الآيات للنساء ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ﴾ أى أنها إرادة بشرية يتوقف النجاح فى هذا البرنامج الإلهى على مدى إلتزام النساء به بينما نجد الإرادة فى آية التطهير إرادة إلهية كونية " إنما يريد الله " وإرادة الله تعالى محققة لا محالة ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1]

ونلاحظ أيضا فى الآيات التى تخاطب النساء أن كلمة بيت جاءت على صيغة الجمع ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ بينما فى آية التطهير جاء لفظ البيت مفردا " أهل البيت " مما يبين أن لرسول ﷺ بيوتا للزوجية بينما هناك بيت آخر محدد تشير إليه آية التطهير عند نزولها وكان فيه أهل الكساء فقط. فبيوت الزوجية كانت بيوتا متعددة تسكنها زوجات الرسول ﷺ كما قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم "[2]. إن بيت الزوجية سببه العقد الشرعى الذى يمكن تقويض دعائمه بكلمة واحدة هى كلمة الطلاق تصبح المرأة بعدها أجنبية عن الزوج كما بيَّن ذلك الصحابى زيد بن أرقم رضي الله عنه عندما سئل من هم أهل بيت

١ــ (يس٨٢)
٢ــ (الأحزاب ٥٣)

الرسول نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها[1] أما البيت الذى أشارت اليه الآية عند نزولها فهو بيت النبوة والذى كان فيه أهل الكساء الخمسة هذا البيت دائم لا ينفك ولا يزول.

من كل ما سبق يتضح لك عزيزى القارىء أن آية التطهير تختلف عن بقية الآيات فى سبب النزول وتوقيته وأجوائه وفى أسلوب الخطاب ومضمونه مما يبين أنها نزلت فى أناس آخرين غير النساء اللاتى نزلت فيهن الآيات الأخرى

وشىء آخر يجعل الأمر أكثر وضوحا فهل من المناسب أن يذهب الله تعالى الرجس عن النساء ويطهرهنَّ تطهيرًا مطلقًا ثم بعد ذلك يوجه إلى بعضهن العتاب الشديد والتهديد بالطلاق والإستبدال بأزواج خير منهنَّ وذلك لما قمنَّ به تجاه رسول الله ﷺ كما جاء فى سورة التحريم حيث يوجه الله تعالى الخطاب إلى اثنتين من نساء الرسول ﷺ بقوله " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما[2] وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا "[3] ومن المعلوم أن سورة التحريم نزلت بعد سورة الأحزاب حيث جاء فى كتاب الإتقان فى علوم القرآن " وأنزل بالمدينة سورة البقرة ثم آل عمران ثم الأنفال ثم الأحزاب ثم المائدة ثم إذا جاء نصر الله والفتح ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سبح الحواريين أى سورة الصف ثم الفتح ثم التوبة وخاتمة القرآن [4] مما يؤكد أن النساء لسن من أهل البيت الذين تعنيهم آية التطهير

٣ـ (صحيح مسلم ج ٥ـ ٢٧٤)

١ـ اى مالت وانحرفت عن الحق

٢ـ(التحريم ٤ـ ٥)

٣ـ (الأتقان فى علوم القرآن ج١ـ ٨٤)

التعريف النبوى لأهل البيت عليهم السلام

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] ويقول أيضا ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] فالرسول صلى الله عليه وسلم قد بين للأمة كل ما تحتاجه فى أمور دينها وقد فصّل صلى الله عليه وسلم ما أجمله القرآن حيث ورد فى القران ألفاظ لها معنى لغوى معروف ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن من خلال سنته الشريفة المعنى الشرعى لهذه الألفاظ فمثلا الصلاة فى اللغة تعنى الدعاء وفى الشرع لها معنى خاص من قيام وقراءة وركوع وسجود وذكر فى أوقات معينة بيّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الزكاة فى اللغة تعنى النماء والحج يعنى القصد وقد بيّن الرسول المعنى الشرعى لهذه الأمور وفصّل ما أجمله القرآن فالله تعالى أمرنا فى القرآن بالصلاة ولكن لم يبين عدد الصلوات أوالركعات ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى فصّل ذلك وبيّن أيضا كل ما تحتاجه الأمة حتى فى أبسط الأمور مثل آداب الطعام وحتى آداب قضاء الحاجة فهل يهمل الرسول صلى الله عليه وسلم أمرا هاما للغاية مثل أمر أهل البيت ولا يبينه ويفصّله وهو الأمر الذى أولاه إهتماما بالغا وأوصى الأمة أن تتمسك به مع القرآن فى مناسبات عديدة وفى آخر حياته حيث قال " إنى قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وعترتى أهل بيتى ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض " فهل يوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة بشىء مبهم مجهول؟ وإذا كان لأهل البيت معنى لغوى قد يتشدق به البعض فهل لم يبيّن الرسول صلى الله عليه وسلم المعنى الشرعى له كما بيّن فى سائر الأمور؟ أم أنه صلى الله عليه وسلم قد عرّف الأمة بأهل البيت حتى صار أمرهم معلوما وجليا لأصحابه لدرجة أن أحدا

١ـ(النحل ٤٤)

٢ـ(النحل ٦٤)

منهم لم يسأله عنه بالرغم من الحشد الهائل الذى استمع لوصيته ﷺ

ولنرى عزيزى القارىء ماذا قال الرسول ﷺ عن أهل البيت عليهم السلام وكيف عرّفهم لأمته فقد روى الواحدى النيسابورى عن أبى سعيد الخدرى " إنما يريد الله... الآية " قال نزلت فى خمسة فى النبى ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين[1] وأخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال " أخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على على وفاطمة وحسن وحسين وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2] وأخرج ابن جرير وابن ابى حاتم والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " نزلت هذه الآية فى خمسة فىّ وفى على وفاطمة وحسن وحسين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فهل بعد قول الرسول ﷺ من قول؟ وهل بعد بيان رسول الله ﷺ نحتاج إلى بيان من أحد آخر كائنا من كان؟ ألا يجدر بنا أن نرضى بقول رسول الله ﷺ وأن نستسلم له كما أمرنا الله تعالى بذلك؟ لقد حصر الرسول ﷺ أهل بيته الذين تعنيهم آية التطهير فى خمسة فكيف نجعل لهم سادسا وسابعا وثامنا و..... وندخل فيهم بأهوائنا من ليس منهم؟ أليست هذه جرأة على الله ورسوله؟ إن الرسول ﷺ لم يكتف بحصرهم بالقول فقط وإنما حصرهم أيضا بالفعل حين جلّلهم تحت الكساء كما مرّ سابقا ولم يسمح بدخول السيدة أم سلمة رضي الله عنها معهم ليؤكد هذا الحصر و أن أهل البيت ليسوا إلا هؤلاء فقط ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك أيضا بل قام بعمل إعلامى رائع حتى لا يخفى أمر أهل البيت على أحد وليقطع الطريق على الذين يحاولون التبديل والتحريف والتزوير فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال شهدت رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتى كل يوم باب على بن بى طالب عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

١ــ (أسباب النزول للواحدى ٢٣٩)

٢ــ (المستدرك للحاكم ج٣ ــ١٣٢ــ١٣٣ وصححه الذهبى)

﴿ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وروى الطبرانى عن ابن الحمراء قال رأيت رسول الله ﷺ يأتى باب على وفاطمة ستة أشهر فيقول ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وروى ابن جرير وابن مردويه عن أبى الحمراء حفظت من رسول الله ﷺ ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب على فوضع يده على جنبتى الباب ثم قال " الصلاة الصلاة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وروى ابن أبى شيبة وأحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس ولفظه أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1]

فتامل عزيزى القارىء فى فعل رسول الله ﷺ إنه لم يفعله مرة أو مرتين أو ثلاث ولم يفعله يوما أو يومين أو ثلاثة ولكنه فعله وكرره شهورا طويلة بل ربما كرره فى اليوم الواحد أكثر من مرة وعند كل صلاة فلماذا الإصرار على ذلك التكرار وتلك المدة الطويلة؟ إن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك بعيدا عن سمع وبصر الصحابة الذين كانوا يشهدونه حين يجتمعون فى المسجد فى أوقات الصلاة فكل يوم تشهده مجموعة منهم وبمرور هذه الأشهر الطويلة يكون قد شهده جمع غفير والذين غابوا عنه كانوا يعلمونه ممن شهدوه حيث كان الشاهد يبلغ الغائب حتى صار أمر أهل البيت لا يخفى على أحد من الصحابة ولذلك لم نر أحدا منهم يسأل الرسول ﷺ عنه إن الرسول ﷺ و سلم كان ينادى طوال تلك الفترة عليا وفاطمة وحسنا وحسينا عليهم السلام بصفتهم يا أهل البيت ولم يكن يدعو لهم وكان يتلو آية التطهير وهو يناديهم ليعرّف الأمة من هم آهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين نزلت فيهم آية التطهير . تُرى لماذا لم يفعل الرسول ﷺ ذلك قط ولو لمرة واحدة مع نسائه أو مع واحدة منهن؟

١ــ (مسند احمد ج٣ــ٢٥٩)

ولماذا لم ينادهن ولو لمرة واحدة بهذه الصفة يا أهل البيت؟ ألا يعتبر عمل الرسول ﷺ مع أهل بيته عملا إعلاميا رائعا وناجحا؟ خاصة وأن المدينة المنورة كانت صغيرة وقليلةالسكان.

أليس هذا تعريفا عمليا بأهل البيت حتى لا يخفى أمرهم على أحد ولا يلتبس عليه؟ لقد أراد الرسول ﷺ بذلك العمل الإعلامي الرائع أن يقطع الطريق أمام كل المنحرفين وذوى الأهواء وحتى لا يأتى أحد فى يوم من الأيام ويقول إن أهل البيت هم نساء النبى أو غيرهم . فهل يجرؤ أحد أن يقول ما يخالف البيان النبوى إلا إذا كان فعلا متبعا لهواه وأعمته ظلمة العصبية وفى قلبه مرض؟ ألا نحتاج إلى شىء من التجرد والحيادية والنزاهة ونحن نتأمل تلك المواقف والأحداث؟ ألا نحتاج أيضا إلى نبذ العصبية والتقليد الأعمى؟ أليس من الأجدر للذين يتكلمون بأهوائهم وآرائهم المخالفة لقول وفعل الرسول ﷺ أن يتخلوا عن هذه الأهواء والآراء ويستسلموا لما جاءهم عن الرسول ﷺ عملا بقول الله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم "[1]؟ لو كانت قضية أهل البيت قضية ثانوية ما أولاها الرسول ﷺ كل هذا الإهتمام ولما حرص عليها كل هذا الحرص ولما كررها مثل ذلك التكرار ألا يدل فعل الرسول ﷺ على أهمية تلك القضية وعلى حرصه الشديد على أن تصل واضحة جلية إلى كل المسلمين وحتى لا يلتبس الأمر عليهم من بعده؟ونحن على يقين أن أهل البيت عليهم السلام كانوا معروفين تماما فى حياة الرسول ﷺ وكان الصحابة يعرفون ذلك بوضوح وبصورة لا لبس فيها مما يفسر عدم سؤالهم الرسول ﷺ عنهم وإنما اختلقت تلك الأقوال المخالفة بعد زمن من وفاة الرسول ﷺ من قبل الذين حاربوا أهل البيت وحاولوا القضاء على مكانتهم ومحو ذكرهم.

وفى موقف عملى آخر بيَّن الرسول ﷺ من هم أهل بيته عند نزول قول الله تعالى " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل

١ـ(الاحزاب ٣٦)

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين "[1] فمن الذين اصطحبهم الرسول ﷺ لكى يباهل بهم وفد نصارى نجران؟ إنه لم يصحب إلا حسنا وحسينا وفاطمة وعليا ولم يصحب أحدا غيرهم إنه صحب تلك الوجوه التى قال عنها النصارى حين رأوهم لقد جاءكم بوجوه لو استقبل بها الجبال لزالت[2] فقد روى مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه انه قال "ولما نزلت هذه الآية " فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية " دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال " اللهم هؤلاء أهلى "[3].

١ـ (ال عمران ٦١)

٢ـ(راجع كتب التفسير وصحيح مسلم وسنن الترمذى)

٣ـ(صحيح مسلم ٥ـ٢٦٩)

obeikandl.com

أهل البيت عند زوجات الرسول ﷺ

زوجات الرسول ﷺ لهن المنزلة العظيمة والمكانة العالية فهن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى " النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم "[1] ولا شك أيضا أنهن من أعلم الناس بأهل البيت حيث نزلت آية التطهير فى بيت واحدة منهن وشهدن ما فعله الرسول ﷺ عند نزول آية التطهير وكذلك رووا عنه الأحاديث التى جاءت فى هذه الواقعة ومما لا ريب فيه أن لأهل البيت عليهم السلام المكانة العالية والمنزلةالسامية والفضل العظيم الذى يطمع فيه كل إنسان ويتمنى أن يكون من هؤلاء الأطهار المطهرين ولذلك لما نزلت آية التطهير فى بيت السيدة أم سلمة رضي الله عنها وغشّى رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بفضلة إزاره ودعا وقال " اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " علمت السيدة أم سلمة فضل ومكانة أهل الكساء فحاولت الدخول تحت الكساء طمعا أن تكون منهم وأرادت أن تتبين موقعها من أهل البيت فسألت الرسول ﷺ وأنا من أهل البيت؟ فأجابها بقوله "إنك على خير وهؤلاء أهل بيتى اللهم أهل بيتى أحق " فالسيدة أم سلمة روت الأحاديث المتعلقة بتلك الواقعة ولم يؤثر عنها القول بأنها من أهل البيت .

اما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد ذكرت أن الآية نزلت فى خمسة حيث قالت:

خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرجل من شعرأسود ، فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]

١ــ (الأحزاب ٦)

٢ــ (صحيح مسلم ج٥ــ٢٨٧)

فهل أن النساء كن يعلمن أنهن من أهل البيت المطهرين وكتمن ذلك الفضل العظيم مع أن الله تعالى يأمرهن بقوله " وأذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة "؟ أم أنهن كن يعلمن علم اليقين من هم أهل البيت ولذلك لم يؤثر عن واحدة منهن القول بأنها منهم؟ وإذا كانت النساء من أهل البيت فلماذا لم ينادهن الرسول ﷺ ولو لمرة واحدة بهذه الصفة يا أهل البيت كما كان يفعل مرارا مع علي وفاطمة عليهما السلام؟

وإنا لنتساءل لماذا نزلت آية التطهير في بيت السيدة أم سلمة بالذات؟ ولماذا لم تنزل في بيت علي وفاطمة عليهما السلام؟ هل لتكون السيدة أم سلمة شاهدة عيان ـ من خارج أهل البيت ـ على تلك الواقعة فتكون إحدى الوسائل الإعلامية الهامة لنشرها بين المسلمين؟ خاصة وأن السيدة أم سلمة رضي الله عنها كانت شديدة العاطفة والولاء لأهل البيت وشديدة التعلق بهم وهي المعروف عنها الحكمة ورجاحة العقل كما يتبين ذلك من خلال مشورتها لرسول الله ﷺ في الحديبية فعندما فرغ الرسول ﷺ من كتابة الصلح مع مشركي مكة قال لأصحابه " قوموا فانحروا فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فذكر ما لقي من الناس فقالت يا رسول الله أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ولم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك فنحر بدنه ودعا

حالقه فحلقه فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق لبعض حتى كاد بعضهم يقتل بعضا[1] وأيضا نجد الرسول ﷺ يخصها من بين زوجاته ويعطيها تربة من أرض كربلاء ـ أتى بها جبريل عليه السلام ـ لتحتفظ بها ويقول لها إذا تحول هذا التراب إلى دم فأعلمي أن الحسين قد قتل[2] فهل نزلت الآية في بيت السيدة أم سلمة رضي الله عنها لتحمل مسئولية نشر تفاصيلها بين المسلمين خاصة وأنها عمرت طويلا بعد

١ـ (الرحيق المختوم ـ ٣٥٥)

٢ـ (راجع البداية والنهاية لابن كثير ج٨ـ ١٨٨)

وفـاة الرسـول ﷺ وعاصـرت قتل الإمام الحسـين عليه السلام ووقعت مغشـيا عليها عندما علمت بقتله [1] وهل نزلت الآية فى بيتها أيضا لتتم التفرقة عمليـا بيـن أهل البيت وبيـن الزوجات حين لم يسـمح لها الرسـول ﷺ بالدخول تحت الكساء بالرغم من خيريتها وأفضليتها؟

obeikandl.com

١ـ (المصدر السابق ـج٣ـ٢٠٣)

أهل البيت عند الصحابة

إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد عاصروا نزول آية التطهير وسمعوا من رسول الله ﷺ ورأوه شهورا عديدة عند كل صلاة وهو يقول لعلى وفاطمة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ولذلك فإنهم كانوا يعرفون تماما من هم أهل البيت الذين تعنيهم آية التطهير ولذا لم نرهم يسألون الرسول ﷺ عن أهل بيته ولقد نقل الصحابة إلينا الأحاديث التى تبين من هم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال " نزلت هذه الاية فى خمسة فىّ وعلى وفاطمة وحسن وحسين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. إن الصحابى زيد ابن أرقم لا ينفى فقط أن النساء لسن من أهل البيت وإنما يعلل ذلك كما جاء فى صحيح مسلم عندما سئل من هم أهل بيت الرسول نساؤه؟ قال لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها[1]. بل إن الصحابة كانوا يعبرون عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بآل أبى بكر وليس بآل الرسول ﷺ رغم أنها كانت احدى زوجاته كما جاء ذلك فى الحديث الذى رواه البخارى عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والذى يتحدث عن نزول آية التيمم والذى يقول في نهايته أسيد بن الحضير وهو يقصد السيدة عائشة " ما هى بأول بركاتكم يا آل أبى بكر[2] لقد عبر ذلك الصحابى عن السيدة عائشة بآل أبى بكر ولم يقل يا آل رسول الله ﷺ رغم أنها كانت متزوجة من رسول الله ﷺ مما يبين أن الصحابة كانوا يعلمون تماما من هم أهل البيت وأن النساء لسن منهم ولذلك لم يسألوا الرسول ﷺ عن أهل بيته وهذا

١ـ (صحيح مسلم ٥ـ٢٧٤)

٢ـ (البخارى ج١ـ٩١)

يبيّن أن التساؤل عن أهل البيت لم يظهر فى حياة الرسول ﷺ وإنما ظهر متأخرا بعد زمن من وفاة الرسول ﷺ يتبيّن ذلك من إجابة الصحابى زيد بن أرقم عندما سئل عن أهل البيت فحاول الاعتذار عن الإجابة بكبر سنه فقد روى مسلم عن يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت عن رسول الله ﷺ قال يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه ثم قال قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال " أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال " وأهل بيتى أذكّركم الله فى أهل بيتى أذكّركم الله فى أهل بيتى أذكّركم الله فى أهل بيتى "[1] من هذا يتبيّن أن التساؤلات عن أهل البيت عليهم السلام جاءت متأخرة وأثارها البعض للتشكيك فى أهل البيت الحقيقيين ولصرف الناس عنهم فراحوا ينشرون أقوالا مخالفة لأقوال رسول الله ﷺ واستخدموا فى ذلك أشخاصا أمثال عكرمة وغيره ممن كان لهم موقف من أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وراحوا يروجون لهذه الأقوال التى لا تعتمد على دليل من كتاب أو سنة وإنما هى مجرد أهواء وعصبية وخدمة لبعض الأهداف السياسية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت

وهكذا يتضح أن مقولة أن النساء من أهل البيت إنما هى واحدة من الأشياء الكثيرة التى أُستحدثت بعد وفاة الرسول ﷺ وفى نهاية زمن الصحابة

١ــ (صحيح مسلم بشرح النووى ج١٥ ــ ١٨٤)

عكرمة وأهل البيت عليهم السلام

تبيّـن لك عزيزى القارئ ماذا قال الرسـول ﷺ عن أهل البيت وماذا قالت نساؤه وكذلك الصحابة ولكننا نجد عكرمة يخترع قولا آخرا مخالفا لكل هذه الأقوال وهو الذى لم يعاصر الرسـول ﷺ ولم يسـمع منـه حيث كان ينادى بآية التطهير ويقول أُنزلت فى شـأن نسـاء النبى خاصة فعلى أى شـىء اعتمد عكرمـة فى قوله هذا؟ أعلى على كتاب الله وسنة رسوله؟ أم على أقوال نساء النبى وصحابته؟ أم كان اجتهادا خاصا منه وجرأة على النصوص الكثيرة والصريحة؟ وهل نترك عزيزى القارىء قول الرسـول ﷺ لقول عكرمة أو غيره؟ سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما عـن مسـألة فأجابـه فيها بحديث فقـال الرجل قـال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس "يوشـك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قـال رسـول الله ﷺ وتقولـون قال أبو بكر وقال عمـر " فاذا كان ابن عبـاس يتخـوف أن تنزل الحجارة على من يترك قول الرسـول ﷺ لقول أبـى بكـر وعمر مع ما لهما من مكانة ومنزلـة فماذا يقول عمن يترك قول الرسول ﷺ لقول عكرمة؟!

إن عكرمة لم يكتف بذلك القول فقط وإنما كان يتجاسر ويقول من شـاء باهلته أنها نزلت فى شأن نسـاء النبى خاصة إنه أراد ان يصور نفسـه فى دور البطل حيث لا أحد سـواه ولا أحد يجرؤ على التصدى له وكأن الجميع استسـلم لقوله وتركوا ما عداه مع أن معظم المسـلمين كانـوا يقولـون بما قاله الرسـول ﷺ فهـل لم يجد عكرمـة أحدا فى الأمـة يقول ما كان يقوله الرسـول ﷺ حتـى يباهله؟ أم أنه كان يردد قوله ذلك فى جنبات نفسـه وبعيدا عن سـمع المسـلمين؟! ولماذا أظهر عكرمـة قولـه ذلك فى تلـك الفترة بالذات؟ أم أنـه كان يخدم أهدافا أخرى وكان ضمن الجهاز الإعلامى الذى أسندت إليه عملية التحريف والتزويـر والتضليـل والقضـاء على مكانـة ومنزلة أهـل البيت وصرف

الناس عنهم؟

إن عكرمة مثال لأولئك الذين حاربوا أهل البيت عليهم السلام. ألم يكن من الخوارج؟ فماذا نتوقع منه أن يقول عن أهل البيت وهو يحاربهم؟ ثم من هو عكرمة وماذا قالوا عنه؟ قال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال عكرمة مولى ابن عباس أحد أوعية العلم تكلم فيه لرأيه لا لحفظه فأتُهم برأى الخوارج وقد وثّقه البخارى أما مسلم فتجنبه وروى له قليلا مقرونا بغيره وأعرض عنه مالك وتحايده إلا فى حديث أو حديثين وقال حدثنا وهيب قال شهدت يحيى بن سعيد الأنصارى وأيوب فذكرا عكرمة فقال يحيى: كذاب. وعن يزيد بن أبى زياد عن عبيد الله ابن الحارث قال دخلت على على بن عبيد الله فإذا عكرمة فى وثاق عند باب الحسن فقلت له ألا تتقى الله فقال إن هذا الخبيث يكذب على أبى . ويروى عن ابن المسيب أنه قال ما يسوءنى أن يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب. وقال حدثنا هشام بن عبد الله المخزومى سمعت ابن أبى ذئب يقول رأيت عكرمة وكان غير ثقة. ونقل عن محمد بن سعد كان عكرمة كثير العلم والحديث بحرا من البحور وليس يحتج بحديثه ويتكلم الناس فيه. وقال مطرف بن عبد الله سمعت مالكا يكره أن يذكر عكرمة ولا أرى أنه يروى عنه. وعن يعقوب الحضرمى عن جده قال وقف عكرمة على باب المسجد فقال ما فيه إلا كافر قال كان يرى رأى الأباضية. وقال مصعب الزبيرى كان عكرمة يرى رأى الخوارج قال وادعى على ابن عباس أنه كان يرى رأى الخوارج وعن عطاء بن أبى رباح أن عكرمة كان أباضيا وروى سليمان بن معبد السنجى قال مات عكرمة وكثير عزة فى يوم فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة [1] وعن ابن المسيب أنه قال لمولاه برد لا تكذب علىّ كما كذب عكرمة على ابن عباس

هذا هو عكرمة فهل نترك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقوله؟!!!!!

١ـ(راجع ميزان الإعتدال ج٥ ١١٦ الى ١١٩)

ماذا تعنى آية التطهير؟

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ إذا تأملنا فى هذه الآية وجدنا فيها الإرادة الالهية المستمرة لإذهاب الرجس والتطهير الإلهى المطلق الإرادة الإلهية المستمرة والتى يفيدها الفعل المضارع " يريد " والإذهاب المستمر للرجس كما يفيده الفعل المضارع المؤكد "ليذهب " وكذلك نجد التطهير الإلهى المطلق لأهل البيت كما يفيده المفعول المطلق " تطهيرا " فبالله عليك عزيزى القارىء هل يبقى ذنب أو إثم أو دنس مع تلك الإرادة الإلهية المستمرة لإذهاب الرجس وذلك التطهير الإلهى المطلق؟ إن الله تعالى ـ وليس العبد ـ هو الذى يذهب الرجس باستمرار وهو الذى يطهر التطهير المطلق فهل يبقى مع ذلك ذنب او إثم أو دنس أو معصية؟ إذا بقى شىء من ذلك فإننا نتهم التطهير الإلهى بأنه غير كامل وحاشاه أن يكون كذلك. قد يحاول الإنسان تطهير نفسه بنفسه ولكن هذا التطهير البشرى يختلف عن التطهير الإلهى للإنسان والذى يجعله طاهرا مطهرا أما تطهير الإنسان لنفسه فإنه يجعله متطهرا التطهير البشرى قد لا ينجح فيه الإنسان وأيضا فإنه لا يصل به الى الكمال حيث يبقى معه بعض الرجس والدنس على عكس التطهير الإلهى الذى لا رجس معه ولا دنس . إن هناك أعمالا فى الإسلام تطهر صاحبها كالصدقة والصلاة يقول الله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها "[1] ويقول الرسول ﷺ " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء "؟ قالوا لا يبقى من درنه شىء قال ﷺ " فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا "[2] فإذا كان هذا تطهير الصلاة والتى يؤديها المسلمون جميعا فكيف بالتطهير الإلهى الذى يختص الله به

١ـ (التوبة ١٠٣)

٢ـ(صحيح مسلم بشرح النووى ج٥ـ١٧٣)

بعض عباده كأهل البيت عليهم السلام؟هل يبقى لأولئك الذين طهّرهم الله رجس أو ذنب أو معصية؟ وماذا يعنى هذا؟ ألايعنى العصمة؟ إن الله تعالى قد عصم أصحاب هذه الآية حيث أن الذنب والإثم والمعصية دنس ورجس وقذارة لا يليق ولا يتفق مع الطهر الإلهى فأى ضرر فى القول بعصمة أهل البيت عليهم السلام؟ وهل إذا قلنا بعصمة إنسان فإننا نجعله بذلك إلها أو نبيا؟ إنه بشر وليس بإله أو نبى ولكنه لا يترك واجبا ولا يفعل محرّما وأى عجب فى ذلك؟ إذا كان أصحاب هذه الآية غير معصومين كما يرى البعض فانهم يمكن بالتالى أن يتركوا الواجبات ويأتوا المحرمات فبالله عليك عزيزى القارىء هل يتناسب ذلك مع الإذهاب الإلهى المستمر للرجس والتطهير الإلهى المطلق؟ إذا كانوا غير معصومين فما هى الميزة التى أعطتها الآية لأهل البيت على غيرهم من البشر حيث سيشاركونهم فى الإثم والمعصية ويصبح الجميع سواء فى هذا الأمر. إذا كان أصحاب تلك الآية غير معصومين فلماذا إذن النزاع على من هم أهل البيت فسواء كانوا من أهل البيت أو لم يكونوا فالجميع يرتكب الذنوب والمعاصى كما يرى الذين يقولون بعدم العصمة؟ فلا يبقى إلا أن نقول إن آية التطهير لا تعنى إلا العصمة ويؤيدهذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد من عدة طرق[1] وصححه الألبانى[2] "إنى قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وعترتى أهل بيتى ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض " فالله تعالى يقول عن القرآن " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "[3] فالقرآن معصوم ومنزه عن الخطأ وكذلك العترة لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جعلهما فى الحديث السابق عدل القرآن ولا تفارقه فالعترة معصومة تماما كالقرآن وهى بالتالى لا ترتكب الذنوب والمعاصى لأنها لو

١ـ (مسند أحمد٥ـ١٨٢)

٢ـ (صحيح الجامع الصغير ٢/٢١٧ رقم ٢٤٥٤ وراجع أيضا سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٣٥٥ـ٣٥٨)

٣ـ (فصّلت ٤٢)

فعلت لفارقت القرآن وهذا خلاف ما أخبر به الرسول ﷺ. إن هذا الحديث يبيِّن أن أهل البيت عليهم السلام لا يخالفون القران وفى نفس الوقت لا يختلفون فيما بينهم وهذه الصفة لا تتوفر إلا في أهل الكساء ولا توجد فى غيرهم. فهذه الصفة لم تتوفر فى نساء النبى ﷺ حيث اختلفن فيما بينهن وانقسمن الى حزبين كما روى ذلك البخارى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن نساء الرسول ﷺ كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء الرسول ﷺ[1] فأى الحزبين كان من أهل البيت؟ إن أهل البيت لا يختلفون فيما بينهم ولكن قد يختلفون مع غيرهم حيث نجد أن السيدة عائشة رضي الله عنها اختلفت مع الامام على عليه السلام وخرجت لقتاله فهل كان الاثنان من أهل البيت ومع القرآن رغم ذلك الاختلاف والاقتتال؟ أم أن أحدهما كان من أهل البيت ومع القرآن دون الآخر لأن أهل البيت لا يخالفون القرآن ولا يختلفون فيما بينهم؟ والرسول ﷺ يقول " على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا علىَّ الحوض[2]. فيتبين من معنى آية التطهير أن نساء النبى ﷺ لسن من أهل البيت عليهم السلام.

ويبقى سؤال هام لماذا خص الله تعالى أهل البيت عليهم السلام بهذا التطهير دون بقية الأمة؟ إن الله تعالى جعل لأهل البيت مرتبة ومنزلة تسمو على بقية الأمة وخصهم بالتطهير ليكونوا القادة الربانيين والأئمة الهداة المهديين تطيعهم الأمة وتتبعهم وتقتدى بهم وتسلك طريقهم وتسير على خطاهم وهى على ثقة أنها تسير فى صراط الله المستقيم دون زيغ أو انحراف.

١ـ (البخارى ج٣ـ٢٠٤)

٢ـ (أخرجه الطبرانى فى الأوسط)

تساؤلات حول آية التطهير

بالرغم من الأحاديث الصحيحة والصريحة التي بيَّنت مَن هم أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير وبالرغم من أقوال نساء الرسول ﷺ وأقوال الصحابة فإننا نجد البعض يثير الشبهات والتساؤلات حول هذه الآية ولا يريد أن يستسلم للدليل الصحيح والبرهان الساطع وتحمله العصبية على محاولة صرف المسلمين عن أهل البيت الحقيقيين ولا ندرى سبب ذلك والدافع إليه. هل هو امتداد للسياسة التي ظهرت في زمن الفتنة التي عاشها المسلمون في صدر الإسلام تلك السياسة التي كانت تهدف إلى القضاء على مكانة ومنزلة أهل البيت الحقيقيين ومحاولة صرف المسلمين عنهم؟. فنرى أحد الكتاب يقول:

آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي ﷺ كما قال تبارك وتعالى " يا نساء النبي..... إلى قوله لطيفا خبيرا " إن الذي يراعى سياق هذه الآيات يوقن أنها في نساء النبي ﷺ والحديث يبدأ فيها بنداء الله سبحانه وتعالى لهم (هكذا أوردها الكاتب).

إنه يقول بكل جرأة إن آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي ﷺ ويستخدم أداة الحصر إنما ضاربا عرض الحائط بالأحاديث الصحيحة التي وردت عن الرسول ﷺ وكذلك لم يلتفت إلى ما قالته نساء النبي أنفسهن وكذلك الصحابة وكان دليله فقط التأمل في سياق الآيات هذا السياق الذي أوضحنا أمره فيما سبق والذي ظهر لك جليا عزيزي القارئ الاختلاف البيِّن بين آية التطهير والآيات الأخرى.

ويقول ايضا " مما يؤكد أن الآية لم تنزل في أصحاب الكساء رضوان الله تعالى عليهم بل في نساء النبي خاصة حديث الكساء نفسه ذلك أن الرسول ﷺ في حديث الكساء دعا لأصحاب الكساء بأن يذهب الله عنهم الرجس بقوله " اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب

عنهم الرجس" فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب الرجس فما الداعى لدعاء كهذا من رسول الله ﷺ؟!!

ويستطرد قائلا:

إنما أراد رسول الله ﷺ من دعائه هنا أن يضم الله عز وجل أصحاب الكساء وهم من أهل بيته بلا ريب إلى نسائه اللائي نزلت فيهن الآية في المعنى الذي تضمنته الآية وهو إرادة التطهير ورفع الرجس.

إن الكاتب يتساءل متعجبا من دعاء الرسول ﷺ لأهل الكساء ويجعل ذلك دليلا على أنهم ليسوا من أهل البيت. إن الآية نزلت لتبيِّن إذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم تطهيرا مطلقا وهنا يبرز تساؤل من هم أهل البيت هؤلاء؟ فجمع الرسول ﷺ أهل بيته وحصرهم تحت الكساء ودعا لهم ليبيِّن أهل البيت الذين تعنيهم الآية وليجيب عن التساؤل الذى يمكن أن تطرحه الآية.ولو تأمل الكاتب قليلا فى دعاء الرسول ﷺ لاتضح له أن أهل الكساء هم أهل البيت دون غيرهم فالرسول ﷺ يقول فى دعائه "اللهم هؤلاء أهل بيتى" فجعلهم كل أهل البيت ولم يقل اللهم هؤلاء من أهل بيتى فيجعلهم جزءا منهم فالرسول ﷺ يشير إلى أن أصحاب الكساء هم كل أهل البيت وليسوا جزءا فقط. ثم لماذا تجاهل الكاتب الرواية التى ليس فيها دعاء والتى رواها مسلم عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خرج النبى ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟[1] فالرسول ﷺ فى هذا الحديث لم يدع ولكنه قرأ الآية ليبيِّن أن هؤلاء هم أهل البيت الذين تعنيهم الآية .أيضا لماذا تغافل الكاتب عن الروايات الكثيرة التى ذكرت أن الرسول ﷺ كان يمر بباب فاطمة وعلى وقت كل صلاة وينادبهم الصلاة الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ إن الرسول ﷺ كان يفعل

١ـ (صحيح مسلم ج٥ـ٢٨٧)

ذلك مرارا ولشهور طويلة وهو يناديهم بصفتهم يا أهل البيت ويتلو الآية ليؤكد أنهم أهل البيت الذين تعنيهم الآية ولم تذكر هذه الأحاديث أن الرسول ﷺ كان يدعو لهم وإنما كان فقط يناديهم بصفتهم "يا أهل البيت". لقد نزلت آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي هذه الآية كلمة "أهل البيت" فأراد الرسول ﷺ أن يعرّف الأمة من هم أهل البيت الذين تعنيهم الآية ولو لم يفعل لكثر التساؤل عن أهل البيت هؤلاء أهم نساؤه؟ أم اقاربه؟ أم ابنته وزوجها وابناهما؟فأراد الرسول ﷺ أن يعرّفهم للأمة فجللهم تحت الكساء ودعا لهم فحصر أهل بيته فيهم وبذلك فقد أغلق الطريق أمام أصحاب الأهواء الذين يريدون إدخال من يشاءون في أهل البيت وإخراج من يشاءون. ثم إن الرسول ﷺ أراد أن يؤكد وقوع إذهاب الرجس والتطهير المطلق لأهل بيته حيث أن دعاءه مستجاب قطعا مما يدل على أن الله تعالى قد أذهب الرجس فعلا عن أهل البيت وطهرهم تطهيرا حتى لا يأتي أحد ويقول إن الله تعالى أراد إذهاب الرجس والتطهير ولكن ذلك لم يتحقق كما يقول ذلك الكاتب " ويطهركم تطهيرا " ليس فيه إخبار بذهاب الرجس لماذا دعا الرسول ﷺ أهل الكساء إذا كانت الآية بيّنت فعلا أن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا ؟نقول أما قوله ليس فيه إخبار بذهاب الرجس فإنه يناقض نفسه حيث يقول: فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب الرجس فما الداعي لدعاء كهذا من رسول الله ﷺ فإنه يقر أن الله تعالى أخبر فيها بإذهاب الرجس وأما الذي ينكره فهو دعاء الرسول ﷺ بعد إخبار الله تعالى بإذهاب الرجس .أليس هذا تناقضا؟ ولماذا كل ذلك؟ ألأجل طمس حقيقة أهل البيت عليهم السلام وصرف الناس عنهم بدافع العصبية البغيضة ؟أما تساؤله عن دعاء الرسول ﷺ لأهل الكساء اذا كانت الآية بينت فعلا أن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنقول أن الآية نزلت وفيها لفظة " أهل البيت " فأراد الرسول ﷺ أن يبيّن من هؤلاء المقصودون بأهل البيت وأراد أيضا أن يؤكد وقوع

إذهـاب الرجس والتطهير المطلق بالإضافة إلى أن الدعاء والإلحاح فيه نـوع مـن العبودية والتذلل لله تعالى كما قال الرسـول ﷺ " الدعاء مخ العبادة " وقال " الدعاء هو العبادة " فالرسول ﷺ يمارس الدعاء فى مثل تلك المواطن التى اعطاه الله فيها سـؤله مسـبقا ومع ذلك يدعو كنوع من العبودية و التذلل لله تعالى والانقطاع إليه مع ما فيه أيضا من إظهار الشكر وطلب استمرار الفيض الإلهى . فالله تعالى يقول "إنا فتحنا لك فتحـا مبينا ليغفر لـك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر "[1] ومع ذلك فهل ترك الرسـول ﷺ الاسـتغفار بعد نزول هذه الآيـة ؟ الله تعالى قد هدى رسوله ﷺ ومع ذلك كان يقرأ " إهدنا الصراط المستقيم " وفى غزوة بـدر كان الرسـول ﷺ يدعـو " اللهم إنى أنشـدك عهـدك ووعدك "[2] وعند الطبرانى بإسناد جيد "اللهم إنى أنشدك ما وعدتنى "[3] أى أن الله تعالى قد وعد رسوله ﷺ بالنصر ومع ذلك فهو يدعو الله تعالى ويطلب النصر منه إلحاحا على الله وتذللا له فالدعاء فى آية التطهير بالاضافة إلـى أنـه يبيّن مـن هم أهل البيت فإنـه يحمل أيضا نفس هـذه المعانى . إن الكاتـب يذكـر أن الله تعالى انزل آية التطهير فى نسـاء النبى ﷺ ولكن الرسـول ﷺ أراد أن يضم أصحاب الكساء إلى أهل بيته فدعا لهم وعجب ما يقوله الكاتب ! إنه يصور الرسول ﷺ لا يقنع ولا يرضى بمـا ينزلـه الله تعالى حيث أن الله تعالى يريد تطهيـر أناس معينين هم نسـاء الرسول ﷺ ـ حسـب ما يرى الكاتب ـ بينما يريد الرسول ﷺ تطهيـر أناس اخرين من ذريته وأقاربه فهل يريد الرسـول ﷺ مالايريده الله عز وجل وهل كان الرسـول ﷺ يريد أن يجامل أقاربه؟ لقد علمنا القرآن أن الرسول ﷺ لا يفعل شيئا من تلقاء نفسه بل هو متبع لأمر الله تعالى " إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ "[4] ولكن هذا الكاتب يصورالرسول ﷺ لا يقنع بالوحى ويريد شـيئا من تلقاء نفسـه. لو كان الرسـول ﷺ

١ـ (سورة الفتح١و٢)
٢ـ (فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج٧ـ٣٥٤)
٣ـ (المصدر السابق ج٧ـ٣٥٥)
٤ـ (يونس ١٥)

يريد ضم أهل البيت كما يقول الكاتب لقال فى دعائه " اللهم إن هؤلاء من أهل بيتى " ولأنزل الله تعالى عليه قرآنا يخبره بإجابة دعوته كما أنزل على موسى حينما دعا ربه " ربى إجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى و أشركه فى أمرى "[1] فرد الله تعالى عليه وأجابه بقوله " قال قد أوتيت سؤلك يا موسى "[2].

ويتعجب الكاتب من القول بعصمة أهل الكساء خاصة عصمة السيدة الزهراء عليها السلام فيقول: الاستدلال بالآية على عصمة أصحاب الكساء لا يخلو من العجب لأمر بديهى يعرفه كل أحد وهو أن حديث الكساء يذكر السيدة فاطمة رضوان الله عليها كأحد الأطراف الذين نزلت فيهم الآية " ويستطرد متسائلا متعجبا " إذا كان الأمر كذلك فهل السيدة فاطمة نبية أو من الأئمة لكى تضفى عليها صفة العصمة ؟!!! وما الغاية التى لأجلها أضفيت عليها العصمة؟!!

نقول أما الاستدلال بالآية على عصمة أهل الكساء فقد أشرنا إليه من قبل ونقول أيضا إن المتقين يكاد يقتربون كثيرا من العصمة حيث يقول الله تعالى عنهم "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون "[3]. إنهم لا يستجيبون لوساوس الشيطان وإذا هموا بالذنب تذكروا فلم يقدموا عليه . اذا كان هذا هو حال المتقين وهم كثير فكيف يكون حال الأئمة وعددهم قليل وقد جعلهم الله تعالى أئمة للبشرية بما فيهم المتقين " وإجعلنا للمتقين إماما"[4]. إن الإمام إنما جعل ليؤتم به فإذا كان الإمام غير معصوم وأخطأ فمن يصوب له؟ إذا أخطأ الإمام فعلى الناس أن يتابعوه فى الخطأ لأنه إمام يؤتم به وقد فرض الله تعالى طاعته حيث يقول " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم "[5].

١ـ (طه ـ٢٩ـ٣٢)
٢ـ (طه ٣٦)
٣ـ (الاعراف٢٠١)
٤ـ (الفرقان ٧٤)
٥ـ (النساء ٥٩)

فطاعة أولى الأمر _ الأئمة _ طاعة مطلقة دل على ذلك حرف العطف الواو والذى يفيد الاشتراك فى الحكم وكذلك فإن الآية مطلقة ليست مقيدة فإذا عصى الإمام أو أمر بمعصية لوجب أن يطاع طبقا للآية والله تعالى لا يأمر بالنقيضين الطاعة والمعصية ولذا وجب أن يكون ولى الأمر معصوما لا يعصى الله تعالى ولا يأمر بالمعصية وهذا ما نجده فقط فى أئمة أهل البيت المطهرين عليهم السلام دون غيرهم . وإننا لنتساءل وأى ضير فى أن يكون الإمام معصوما وهو الذى يعتلى قمة الهرم فى الإسلام؟ وأيهما أفضل عزيزى القارىء أن يكون إمامك معصوما لا يخطىء فتثق فيه وتقتدى به وتسير خلفه وأنت مطمئن وكلك ثقة أنك تسير فى الطريق المستقيم أم أن يكون هذا الإمام غير معصوم يخطىء ويصيب لا تعرف متى يصيب ومتى يخطىء؟ وبالله عليك عزيزى القارىء إذا وجدت إمامك على معصية _لأنه غير معصوم _ هل ستثق فيه أم تنفر منه؟ إنك حينما تجد أحدا يعصى ويخطىء فإنك تفقد الثقة فيه وتعرف أنه لا يصلح أن يقتدى به فكيف إذا وجدت إمامك بهذه الصفة وهو المفروض أن يكون قدوة للآخرين؟ هل يريد من ينفى العصمة عن الإمام ان يكون الإمام ساقطا فى أعين أتباعه لا ثقة فيه؟إن الإمام هو المثال والنموذج الذى جعله الله تعالى للأمة لتقتدى به وتسير خلفه. إن أولئك الذين ينفون العصمة عن الأئمة لا يكتفون بذلك وإنما ينفون العصمة أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون إنه معصوم فقط فيما يبلغ عن ربه فى أمر الوحى أما غير ذلك فهو بشر يخطىء ويصيب . إنهم لا يتصورون إنسانا طهّره الله وكمّله فأصبح معصوما حتى يكون نموذجا ومثالا وحجة لله تعالى على البشر. لو كان الإمام غير معصوم لكان الله تعالى قد كلّف البشر بما لا طاقة لهم به حيث فشل جميع الخلق بما فيهم الإمام فى الالتزام بمنهج الله تعالى والذى لا يستطيع أحد تطبيقه كلية. وإذا كان هذا هو حال الإمام فالعذرلبقية البشر فى معصيتهم لله تعالى حيث أن إمامهم يعصى الله تعالى ولا يمكنه الإلتزام كلية بمنهج الله تعالى.إن الله تعالى جعل الأئمة معصومين

ليكونوا نموذجا ومثالا وحجة له على خلقه لئلا يكون للناس حجة على الله تعالى. إن الرسالات السماوية السابقة كان يصيبها الإنحراف بعد وفاة صاحب الرسالة فيرسل الله تعالى من بعده رسلا وأنبياء ليصححوا هذا الانحراف الذى حدث في مسيرة الرسالة السماوية أما الإسلام الرسالة السماوية الخاتمة فإذا حدث فيه انحراف بعد وفاة الرسول ﷺ فكيف يتم تصحيح هذا الانحراف خاصة وأنه لا نبي ولا رسول بعد المصطفى ﷺ فوجود الإمام المعصوم ضرورة لكي يحافظ الإسلام على استقامته ويصحح أي انحراف وعوج يمكن أن تتعرض له مسيرته. إن الذين يتضررون من القول بعصمة الأئمة هم أولئك الذين يتخذون أئمة غير معصومين أخطاؤهم معروفة على مدى التاريخ.

أما عجب الكاتب من عصمة السيدة الزهراء عليها السلام فإننا لا نجد ما يبرره إلا أن يكون الكاتب قد نسى أن الزهراء عليها السلام هى سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة فقد أخرج البخاري ومسلم عن السيدة فاطمة عليها السلام أن النبى ﷺ قال لها " يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين " . وروى البخارى أن النبى ﷺ قال " فاطمة سيدة نساء أهل الجنة "[1] فالله تعالى خصّ الزهراء عليها السلام بمنزلة ليست لأحد سواها من النساء كما خصّ أباها بمنزلة ليست لأحد غيره فهل نعجب أن تكون صاحبة هذه المنزلة معصومة؟ وهل يليق بصاحبة هذه المنزلة أن ترتكب الذنوب والمعاصي؟

فإذا كان الله تعالى قد ميّز الزهراء عليها السلام وفضّلها على سائر النساء فهل نعجب إذا طهّرها الله تعالى وعصمها من الذنوب والمعاصي؟ وهل نسى الكاتب أن الرسول ﷺ قال لفاطمة عليها السلام " يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك "[2]. وقال أيضا فيما رواه البخارى " فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى "[3] فإذا كان غضب الزهراء عليها السلام يجلب غضب الله ورسوله فهل تغضب فى الباطل فيغضب الله

١ـ (فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج٧ـ١٣١)
٢ـ (أخرجه أبو يعلى والطبرانى والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر) ٤ـ آل عمران ٤٢
٣ـ (فتح البارى ج٧ـ١٣٢)

تعالى لهذا الغضب؟ إنها حتى فى حال الغضب لا تغضب إلا لله وإذا كان الله تعالى يرضى لرضاها فهل ترضى بالباطل؟ إن الزهراء عليها السلام ربانية خالصة لله تعالى قد زكت نفسها وتطهر قلبها وأصبحت فى حالة عبودية خالصة لله تعالى تعيش بكل كيانها وعواطفها ومشاعرها ووجدانها مع الله تعالى فهل كان للشيطان سلطان عليها والله تعالى يقول "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان "[1] فهل نعجب إذا كانت الزهراء عليها السلام معصومة؟

إن الله تعالى يقول فى كتابه ﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]. فلماذا هذا الاصطفاء والتطهير الإلهى لمريم عليها السلام؟ هل كانت نبية أو إماما أم كانت أما للمسيح عليه السلام؟ فهل نسى الكاتب أن الزهراء عليها السلام كانت أما لسيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين بل كانت أما لأبيها سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله فكيف تكون مثل هذه الأم؟ وهل يليق بها أن ترتكب المعاصي والذنوب؟

إن فاطمة عليها السلام بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو المعصوم أفلا تكون بضعته معصومة؟

الكاتب يتعجب من عصمة الزهراء عليها السلام فكيف به إذا قلنا أن الله تعالى كان يوحى إليها؟ ومهلا عزيزى القارىء ولا تتسرع فإننا لانقصد أنها نبية ولا نقصد بالوحى وحى النبوة وإنما وحى الإلهام مثلما أوحى الله تعالى إلى أم موسى وإلى الحواريين " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه "[3] " وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى "[4] وماذا إذا قلنا ايضا إن الزهراء عليها السلام كانت محدثة تكلمها الملائكة؟

ألم يقل الرسول صلى الله عليه وآله إن من أمتى محدَّثين؟ ألم تكلم الملائكة مريم عليها السلام ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ

١ــ (الإسراء ٦٥)
٢ــ (آل عمران ٤٢)
٣ــ (المائدة ١١١)
٤ــ (آل عمران ٤٢)

نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وماذا إذا قلنا إن الزهراء عليها السلام كان يأتيها الطعام من الجنة؟ ألم تكن مريم عليها السلام تأكل من طعام الجنة؟ " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب "[2] فهل الزهراء عليها السلام أقل من مريم عليها السلام؟فقد روى ابن كثير فى تفسيره[3] عن الحافظ ابو يعلى بسنده عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شقّ ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا فأتى فاطمة فقال " يا بنية هل عندك شيء آكله فإنى جائع؟قالت لا والله_بأبى أنت وأمى _ فلما خرج من عندها بعثت اليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعته فى جفنة لها قالت والله لأوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسى ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة طعام فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فرجع إليها فقالت بأبى أنت وأمى قد أتى الله بشيء فخبأته لك قال " هلمى يا بنية " قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فإذا هى مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رآها حمد الله وقال "من أين لك هذا يا بنية "؟ قالت يا أبت " هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " فحمد الله وقال "الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا وسئلت عنه قالت "هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب "

فهل ما زال الكاتب يتعجب من القول بعصمة الزهراء عليها السلام ؟

١ـ (آل عمران٣٧)

٢ـ (تفسير ابن كثير ج١ـ٣٦٠)

٣